

هولندا والعرب: أربعة قرون من الحوار



الجزيرة العربية لم تكن مثيرة للاهتمام كما يبدو إلا أن هولندا كانت أكثر الدول الأوروبية نشاطاً في المنطقة وذلك خلال القرن السابع عشر وجزء كبير من القرن الثامن عشر.

القرصنة وتجارة الرقيق

ان التوسع البحري والتجاري لهولندا والموازي للقيام بحرب ضد اسبانيا بحرا قد اوصل الهولنديين قبل 1590 الى شواطئ شمال افريقيا الذي كان معروفاً في ذلك الوقت باسم -بربرية- أو الدول البربرية (المغرب.. الجزائر.. تونس.. وطرابلس). في اواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر قرر الهولنديون القيام باجراء اتصالات على مستوى متكافئ مع المغرب سنة 1596 والدول البربرية في الجزائر 1604 وتونس 1610 وطرابلس 1626 وذلك من خلال مبعوثين خاصين. ولم تكن هذه الاتصالات الا محاولة لدفع الحكام هناك الى عقد تحالف ضد اسبانيا ومن اجل ضمان سلامة ملاححة السفن الهولندية في تلك المناطق من هجوم القرصنة الشيطين من شاطئ شمال افريقيا، بالإضافة الى ذلك فقد كان هدف هولندا التوصل الى فتح موانئ شمال افريقيا امام السفن الهولندية والأفراج من الهولنديين.. إذ ان القرصنة كانت احد اشكال الحروب القروسنة والذين اصبحوا عبيداً في عداد الرقيق. وفي محاولة لظهور حسن النية تجاه حكام المغرب والجزائر تم الافراج سنة 1605 تحت اشراف

مبعوثين هولنديين- عن عدد من المغاربة والجزائريين الذين كانوا قد وقعوا اسرى في ايدي الهولنديين اثناء تحرير مدينة سلوس الهولندية من ايدي الاسبان. في الجزائر وفي ما شابهها من مدن شمال افريقيا كتونس وطرابلس كان للوجود الهولندي حضور متعدد الجوانب...

فالى جانب تركز القنصلية والتجار كانت هناك مجموعة اخرى من سفن القرصنة الهولندية.. إذ ان القرصنة كانت احد اشكال الحروب القروسنة والذين اصبحوا عبيداً في عداد الرقيق. وفي محاولة لظهور حسن النية تجاه حكام المغرب والجزائر تم الافراج سنة 1605 تحت اشراف

كانت تحاول سد العجز في الاقتصاد في البر بواسطة القرصنة ، فقد كانت سفن القرصنة الهولنديين في المرتبة نفسها، فقد لعب الهولنديون من امستردام -هورن- فليسفن- ويكهاوزن دورا نشطا في القرصنة العالمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ما قرب التقاء المصالح الطبيعية بين الهولنديين والعرب ضد اسبانيا وقد اختار بعض القرصنة الهولنديين الجزائر مقرا لهم ومنهم من اعتنق الاسلام.. وقد وصل بعضهم الى رتبة امير بحر أو باشا في خدمة ملك المغرب أو تحت الراية العثمانية. لقد ادخل الهولنديون الى بلدان المغرب العربي الصناعة

سلام حسن

٣

لقد كان الایهام وعدم الوضوح هو السمة التي طبعت معرفة الأوروبيين بالأجزاء الداخلية لشبه الجزيرة العربية. ففي امستردام التي كانت تعتبر في القرن السابع عشر مركزاً علمياً للعلوم الجغرافية طبعت خرائط وأوصاف لشبه الجزيرة اعتمدت على الخيال وعلى كتب ايطالية قديمة غير واضحة، ولكن في مطلع القرن الثامن عشر نشرت في انكلترا الأوصاف الأولى الصحيحة لكل من مكة والمدينة وقام بنشرها جوزيف بيتس الذي كان مرسماً على زيارة الأماكن المقدسة كعبيد من عبيد الجزائريين. وكان الناشر الامستردامي تريون أول من قام بنشر المعطيات الانكليزية في اللغة الهولندية.. وفي ما يتعلق بمنطقة الشاطئ فقد كان الأمر مختلفاً إذ كانت في حوزة الناشرين في امستردام معلومات لم تكن متوفرة حتى في الارشيف السري لشركة الهند الشرقية.

فالناسرون في امستردام كانوا أول من حدد مكان الكويك على الخارطة.. حتى ان بعضهم كان عام 1645 على علم بان قطر شبه جزيرة. وقد تم نسيان هذه المعلومات حتى مجيء الإنكليز عام 1800 بخرائط نهائية للشاطئ العربي في الخليج. ورغم ذلك فقد كانت الخرائط الهولندية للبحر الاحمر من الدقة بمكان بحيث انها اشارت الى وجود سبل للتسلل رغم نطاق الحظر العلاقات الهولندية مع شبه

عزيز السيد جاسم:

ثمناً لسلطة الحق دفع حياته



غسان كاظم

حياته ثمناً لهذا الكتاب، حيث عجلت السلطة الغاشمة باعتقاله وقتله في اقبية التعذيب، والى جانب مؤلفاته السياسية والفكرية والدينية، كتب كذلك في الحق الأدبي، ففي مجال النقد الشعري والروائي، له عدة كتب وعشرات البحوث والمقالات الموزعة في مختلف الصحف والمجلات . مثلما كتب عددا من الروايات والقصص منها رواية (الزهر الشقي) و(المناضل) و (الفتون)، وهذه الأعمال تمتلك جدارة فنية عالية على صعيدي التنكيك السردى والاسلوبى، وتقف دون شك الى جانب افضل ابداعات الرواية التاريخية فضلا عن قيمتها الجمالية والحس الباذخ المعاصر، وافكارها ومعمارها وحساسها، بما تجسم من وقائع واحداث اشارت الى مراحل تاريخية محددة من تاريخها المعاصر، وتجلى ذلك خاصة في روايته (الزهر الشقي) التي تعد القمة في ابداعه الروائي، وعلى الرغم من ذلك فإن أعماله الفنية والأدبية لم تحظ بأي نصيب من الدراسات النقدية أو الاهتمام الذي تستحقه، اما اجزء ملحج في الكتابة لديه، فقد تمثل في أسلوبه السبالي المغمم بعذوبته الخاصة، والتجانس في الانطلاق لبيان افكاره ومعالجة المعاني والدلالات، وفي رسم الشخصيات والأجواء على نحو مؤثر وخالق، وعن مزايا ملامحه الاسلوبية، تحدث في حوار له بالقول: (ان اسلوبى في الرواية والقصة هو الاسلوب المركب والبسيط، المركب من الواقعية والرمزية والرومانتيكية،

بمقدار ما يستوعب التركيب العام لوضعي الثقافي والنفسى خاصة، والبسيط في رسم الحالات الأولى لمعطيات الذهن والنفس، وهي الحالات التي تسم باليساطة، والبراءة، ان اسلوب كتاباتي الروائية، هي وحدة الاساليب المتعددة، التي تقرها الخبرة الشخصية، ويتصل المنهج الاسلوبى الموحد هذا بنظراتي التركيبية الشمولية، ان الطبيعة المثقفة، تحول كل شيء الى افكار وتأملات وفي الوقت ذاته بالظواهر الى الرمز الداخلى، الى نواة النواة، حيث كل الاشياء تتحد بالروح المشترك، والحقيقية ان الكتابة، هي ممارسة خلاقة لا بد من ان تنطوي على الباهر والجدي، والمثير حتى في اوضاعها الميكانيكية، بشرط ان تأخذ انفتاحها الصحيح على نفسها، ثم على سواها، فالكاتب تصنع نفسها صناعة ذاتية)، ويتضح لقارئ ابداع الاستاذ عزيز السيد جاسم ان يتلمس تحقق صدى رؤاه وافكاره وتحليلاته النقدية، في معظم اعماله الروائية والقصصية كنتاج ابداعي له خصائصه وفضاءاته، بصفتها خلق وممارسة حياة يرفدها فهم عميق للتاريخ وللإنسان في مسيرته واندفاعه على جادة الخير والجمال. وعلى الرغم من استشهاد عزيز السيد جاسم، الإنسان والمفكر والفنان، فان عنفوان عطائه وثمار جهوده الفكرية والأدبية ستظل لاجوار طويلة قائمة منتهلا ثرا للقارئ ومحل تقدير واكبار لتجرته، بقيمتها الحية في الفن والفكر العراقي المعاصر.

طوره: عدنان الفضلي

القصص الجيدة وحدها تثير الاسئلة في زمن الظلم والاضطهاد ، القصص الصادقة يجراتها تحدث الصدمة لانها ببساطة تأتي بالصادم والفاضح والمغايير، فتصدم وتفضح عالما كريها وقذرا ومرعباً عشناه حيث تهز قناعاتنا الثابتة، اذن ما فعلته قصة (وتبقى قطام) للقصص على السباعي والتي يمكن اعتبارها بكل المقاييس قصة استثنائية بسبب مضمونها بالدرجة الأولى، ذلك المضمون الذي حضر بعمق شديد في اسس واحد من اخطر وادق الموضوعات التي عشناها حساسية وهو: تشريح نظام

استخدموا تلك الرموز في قصصهم مثل القاص العراقي الكبير محمود جنداري في مجموعته القصصيتين (عصر المدن) و (مصاطب الالهة) والقاص المصري جمال الفيحاني في روايته (الزيني بركات) ويبقى القليل من الكتاب سواء كانوا عراقيين ام عربيا قد استخدموا الرموز الاسطورية كما استخدمتها بغزارة في قصصي.

في ما سبب لجوئك لاستخدام هذه الرموز الاسطورية، هل كان الواقع العراقي الذي ضج بالبؤس والشقاء يمنك من عكسه في مرايا قصصك؟

في داخل الم، الم كبير، حتى انني لا اعرف كيف ادونه؟ آه، لم يكن الواقع العراقي هو الذي منعتني من تناول جذوره في البؤس والشقاء والحرمان، بل ان واقعا العراقي كان ينبوعا ثريا في تكوين مرايا قصصي ومرآيتها الطويلة، اذكر جيدا في تقرير للامم المتحدة عام 2002 ان العرب اقل الناس تمتعا بحرية في العالم وان الامر لا يتغير -هنا- في العراق؛ أي ان الذي جعلني الجا للرموز الاسطورية والتراث الشعبي هو بطش السلطة ، سلطة صدام حسين يوم كان لا قامة تعلق فوق قامته لقد استعبدنا كمواطنين لا قيمة لنا مواطنين بانسين افقدنا بذلك السعادة في الحياة، منذ ذلك عزمتم بكتاباتي

شراعية وذلك بين 1606 الى 1620 . على يتشين وهو بيطان من فلسطين وصل الى رتبة (بكلر بكى) أي باشا في الجزائر في سنة 1645 بعد ان كان ولسنوات طويلة أمين طائفة القراصنة. ويقي نصبه التذكاري والمسجد الذي بناه باسمه (علي يتشين).

هذه الاسماء هي رمز لاندماج الثقافة والملاحية العربية-الاسلامية الهولندية والتي طورت شمال افريقيا من هذه الناحية في القرن السابع عشر حتى اصبحت أكثر البلدان تقدما. الى جانب تصدير التقنيات والمعدات الحربية وقطع غيار السفن.. كان هناك عنصر اخر للاندماج والتبادل الثقافي هو تجارة الرقيق، وبعبارة ادق تبادل اسرى المسلمين والمسيحيين الذين اختطفوا اثناء عمليات القرصنة داخل البحر الأبيض المتوسط وخارجه. وقد كانت لسوق الرقيق صفة بورصة تجارية شكلت فيما بعد سببا رئيساً لتبادل العلاقات المستحيل لحماية سفنها لذلك افريقيا واطلق عليها تجارة-تحرير العبيد.

لقد كان على هولندا عمل المستحيل لحماية سفنها لذلك كان لا بد لها من المحافظة على علاقات جيدة مع مراكز القوى المختلفة في شمال افريقيا.

فالاتفاق مع المغرب عام 1610 كان النتيجة الأولى للمحافظة على علاقات صداقة مع مراكز القوى، هذه، وفي عام 1615 بدأت علاقات دبلوماسية مع تونس فكان يوسف داي أول من عقد صلحا و (عهد امان) كما كان يطلق عليه الحكام المسلمون حسب الشريعة الاسلامية مع هولندا . ووقد

واهية قام اسطول هولندي - انكليزي مشترك بالهجوم من اجل ايقاف أعمال القرصنة والشرق دون ان تواجه خطراً كبيراً من دول شمال افريقيا.. وقد جاء احتلال الفرنسيين للجزائر عام 1830 ليضع نهاية لمكانة الجزائر كميناء للقرصنة مرهوب الجانب على امتداد اربعة قرون.

استفدنا في هذه الدراسة من الكثير من المصادر الموجودة في ارشيف الدولة العام في لاهاي.

القاص علي السباعي: تنبأت قصصي بسقوط الصنم



القصصية كلها على عكس الواقع العراقي المرير بترميز ذكي؛ يلمح دون ان يصرح كي لا تكتشف السلطة فضحي ممارساتها الدائمة والظاهري ذلك الواقع المزعج فتسومني العذاب وربما القتل في سجونها المظلمة؟ اه لقد سرق صدام حسين حياتنا، يا اهلنا! لقد سرق صدام حسين زهرة شباب العراق؛ لقد سرق حياتي.

في ان شك في ان للاديب رسالة، ما رسالتك الادبية التي حملتها منذ ان كتبت اول سطر ادبي؟

نحن متفقون على ان رسالة الاديب رسالة انسانية، فهو الانسان الذي يحارب بقلمه كل معالم الظلم والتعسف والاضطهاد ويعكسها بادبه سواء كان شعراً ام قصة ام رسالتى الاولى هي: مقارعة نظام صدام حسين الظالم الذي اذلنا فسعيت جاهدا لتبييض وجه الانسان العراقي الذي سودته جوقه مداحي الطاغية، وقد حملت قصصي هذه الرسالة، وتنبأت

بنهاية قصم الكبير. في كانت الصنم (وتبقى قطام) متميزة واستثنائية وقد نوه عنها في مسابقة عزيز السيد جاسم للادباء، فمن هي قطام؟ وما هي دلالات قصة (وتبقى قطام)؟

قطام هي امرأة عربية رائعة الجمال كانت في بيت الامام صدام حسين، ويقراها الجيل الذي رعاه الامام بالعتف والمودة كان يطعمها ويكسوها الا انها

خانته وطلبت من عبد الرحمن بن ملجم المرادي ان يقتل الامام علي (ع) ويكون مهرها دم الامام (ع)، اما عن قصة (وتبقى قطام) فيها قطام رمز السلطة وتمثل صدام حسين وتقرقر جرائمه البشعة يحيطها المناقون والجلادون امثال علي حسن المجيد (الكيميائي) وقد اظهرت تلك الجرائم بالمشاهد القصصية المؤثرة التي رفعت من الشأن الادبي لهذه القصة التي اعتر بها كثيرا. ثمة رموز تاريخية وشعبية يكتظ بها المتن القصصي لقصة (وتبقى قطام) ما هي دلالاتها السياسية والاجتماعية؟

في الحقيقة، معظم رموز القصة المذكورة كانت رموزا سياسية حتى الرموز الشعبية

قطام رمز لسلطة صدام وسيمبها زوجة النبي لوطي التي وشت بزوجها وبالؤمنين بالله من اتباعه لحاكم المدينة ورجل الدين الذي بقى وسطه منتصبين بعد موته او احد رجال الانتفاضة الشعبانية المباركة، والشبح الذي يحاور قطام يمثل الشعب العراقي المظلوم فكما ترى من الرموز السابقة انها كانت سياسية.

في ما هم موضوع تناولته قصة (وتبقى قطام)؟

اهم موضوع في هذه القصة هو النبوة الحقيقية والصادقة بنهاية طاغية العراق صدام حسين وخاصة في المقطع التالي:

(قال الشبح: يوما اثر اخر، الحلقة تضيق عليك، تصغر، والدائرة الكبيرة اصبحت خرم ابيرة وانت محاصر وسط الخرم بالضبط في منتصفه يوما بعد اخر وحدك تلوك افكك، انت افة الهوامش لم تكن يوما دودة كنت تضاحة تتعفن داخل الدودة والدودة في شجرة لا شرقية ولا غربية بالضبط في مركز (الحصار).

وقد انتهت صدام حسين في حضرة ينتظر محاكمته على جرائمه التي ارتكبها بحق الشعب العراقي حيث اودى بحياسة الملايين في حروبه ومقاربه الجماعية.

التي فرح لكتابتي هذه القصة الوثيقية كي يقرأها الجيل الذي لم يعيش مآسي نظام صدام حسين، ويقراها الجيل الحالي الذي عاش الأمرين من ظلمه واضططه.